

تفسير أبي السعود

الحجر 32 فقعوا له من وقع يقع وفيه دليل على أن ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل أي اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيمًا أو اسجدوا هـ تعالى على أنه E منزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله تعالى عنه ... أليس أول من صلى قبلتكم ... وأعلم الناس بالقرآن والسنن

فسجد الملائكة أي فخلقه فسواه فنفح فيه الروح فسجد الملائكة كلهم بحيث لم يشد منهم أحد أجمعون بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لفادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا فإن الاشتقاء الواضح يرشد إلى أن فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والأصل في الخطاب التنزيل على أكمل أحوال الشيء ولا ريب في أن السجود معاً أكمل أصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيداً وأقيم مقام كل من إفادة معنى الإحاطة من غير نظر إلى الكمال فإذا فهمت الإحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الأصل صوناً للكلام عن الإلغاء وقيل أكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الأمر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص أو على الأمر التنحيزى كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة إلا إبليس استثناء متصل إما لأنه كان جنباً مفرداً مغموراً بألف من الملائكة فعد منهم تغلوباً وإما لأن من الملائكة جنساً يتوادون وهو منهم قوله تعالى أبى أن يكون من الساجدين استثناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فإن مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم أنه مع الإباء والاستكبار أو منقطع فيتصل به ما بعده أي لكن إبليس أبى أن يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكه رأيه حيث أدمج في معصية واحدة ثلاث معاشر مخالفة الأمر والاستكبار مع تحذير آدم E ومفارقة الجماعة والإباء عن الإنظام في سلك أولئك المقربين الكرام قال استثناف مبني على سؤال من قال فماذا قال الله تعالى عند ذلك فقيل قال يا إبليس مالك أي أي سبب لا أي غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك ألا تكون في أو لا تكون مع الساجدين لآدم مع أنهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال تعالى في سورة الأعراف قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك وفي سورة ص قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه احتزاء بما ذكر في موطن آخر وإشعاراً بأن كل واحدة من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راساً في سورة البقرة وسورة بنى إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه

